نجومٌ على الأرض!

للإعلام في بلاد الناس، شان سام ومقام مرموق، فهو لسان ذلكَ الشعب وصوته المدوّي، بيتُ انباءه، ويُدافع عن حقوقه، ويُشيد بمفاخره ومآثره، ويُعرّف امم الأرض، بمن نبغ فيه من رجال العلم والأدب والفن والسياسة والاجتماع.

وعندي، اننا لو ادركنا فائدة الإعلام السويّ ذاك، منذ فجر استقلالنا المازوم، وعمدنا إلى توحيد الثوابت الوطنية والأخلاقية، والى إفهام العالم حقيقة قضايانا المحقة، لهزّزنا ضمائر معظم الشعوب والأمم، ولربحنا هذه القضايا الجامعة الشاملة المانعة والحيوية، من غير ان تُراق نقطة واحدة من دمائنا الزكية. ولكننا اهملنا هذا الشان الخطير، فكان نصيبنا الإخفاق والخذلان.

القائمون على إدارة وسائل الإعلام في بلاد النّاس، اناسٌ متحلّون بسعة العلم، وسلامة الذوق، وبُعد النظر، وملمّون بعقلية الجماهير، واتجاهاتهم الفنية ومذاهبهم الاجتماعية والسياسية. فتراهم يعدّون إعلامهم المتعدّد الأوجه، اعدادا منبثقا من ثقافة صحيحة حية، ومبنيّاً على دراسة دقيقة مُحكَمَة، تلائم مبادئ المتلقّين المشتركة، وتوافق تطلعاتهم المتسامية، وتجعلهم يتلقون ما يبسط امامهم من اقوال واغان والحان، بكثير من الشغف والأرتياح بل السلام الداخلي المفعم بالثقة العامة التي هي فضيلة الاقوياء.

ان كل دولة من الدول الراقية، إنما تظهر بوساطة وسائلها المختلفة، مواهب ابنائها، وتعرض الوانا زاهية من ادابها وفنونها، وهي إذا اقتبست شيئا من اداب غيرها وفنونهم، فإنها تحسن الاقتباس، وتجيد الاختيار، وتتعمّد ان يكون ذلك قليلاً على قدر المستطاع. اما وسائلنا المتخندقة فإنها تنهج غير هذا الطريق، وتنسج على غير هذا المنوال، فتملأ حواسنا الفاعلة في معظم اوقات الليل والنهار، باغنيات سخيفة المعنى، رديئة التلحين، يكثر فيها التكرار الممل والترديد السقيم، وفي كل اسبوع نشاهد اكثر مما نسمع او نتذوّق مغنية جديدة، وتطلع علينا بملحن ناشئ - وإن هو اقتبس الآخرين - ولو كان للفن يد تتحرك، لصفعت الأولى ولطمت الثاني، لانهما يسيئان إلى قدسية الفن، ويمزّقان آذان الناس - ومنهم النشء الجديد، بما يشبه الصفير والشهيق. ان اكثر المتطفلين على الفن او السياسة.. يحاولون تقليد ام كلثوم وعبدالوهاب وكبار المحللين السياسيين وسواهم... وهذا شان اقل ما يُقال فيه، انه يقتل ملكة الصدق والابتكار، ويقضي على الابداعية والمصداقية ويباولي حجة الاستشراف بكل ابعاده.

يتعلقون باذيال الجديد القبيح لدى سوانا. ففي الثقافة الأجنبية روائع فنية، كما لدينا في ما مضى، وينبغي لنا الا نسطو عليها، ولا ان نشوّه معالمها بالتحوير والاقتباس الزري. ومَن شاء ان يجدّد ويبدع في الفنون وما إليها، فان مجال التجديد والابداع رحب في عالمنا الشرقي الوادع، الذي الهم نخبة من اعاظم شعراء الغرب وكتابه ومتفنّنيه، قطعاً خالدة خلود الأبد.

لا ادري الحكمة من بثّ «فن» او «حوار»، يُلقي بصوت اجش، ونبرات خشنة جافة، لا تهزّ قلبا، ولا تدغدغ عاطفة، ولا تحدث حتى طرباً ولا بهجة. وليكف بعضهم عن محاورة احدهم الآخر عبر وسيلة إعلام واحدة تتكهّن من بداية برامجها ما ستؤول إليه في النهاية!!

وتبا، على الاجمال، لإعلام يرمي إلى اداء مغاير لقواعد الفن او المصداقية، وبعيد عن حدود المشاعر الراقية وافاق الوطنية بل الإنسانية والإلهام الروحي المحيي!

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه